المحور الأوّل: مفهوم الحداثة والمعـــــاصرة

عـــــنوان الدرس الأوّل

(مفهوم الحداثة والمعاصرة وجذورها)

***- مدخل**

1- المحور الأول: مفهوم الحداثة والمعصرة فكريًا.

2- المحور الثاني:جذور الحداثة الغربية والعربية.

***- خاتمة.**

***- مدخل:**

لقد شكل سؤال الحداثة بالنسبة للمجتمع العربي هاجسا ظلّ يلاحقه على مدى قرون عدة، ومهما اختلفت التعريفات المقدمة للحداثة سواء كانت فكرة تاريخية أو زمنية بات التعامل معها على أنّها مجموعة من القيم التي يمثلها المجتمع الغربي في فترة نهوضه من القرن السابع عشر والثامن عشر، فإنّ كلّ ذلك لا ينفي على الحداثة أنّها كانت موضوعًا **نقديًا/فلسفيًا** لسجالات طويلة في حقول المعرفة الفكرية، وبهذا تجلت أسبقية الفكر الغربي

في تبني مفهومها ومرجعياتها، فكانت له المبادرة السبّاقة خاصة في المساهمة قي صنع المستقبل الحداثي ،وتعديل وتحوير كلّ مافيه من قيم وسلوكيات وأفكار وفق نمط فكري فلسفي معين في حين بقي الفكر العربي يعيش في دائرة التمسك بالتراث والتخوّف من الحداثة الغربية التي بات يرى فيها نهاية تاريخه وهويته وحضارته ،فكان الإقبال عليها بحذر شديد يسوده التوجس من كلّ ماتبدعه الحضارة الغربية من تغيير، والسؤال الذي يتجلى علينا هو: **ما مفهوم الحداثة(المعاصرة) من وجهة نظر الأدباء والفلاسفة عامة و الشعراء خاصة ؟ وما هي جذورها في الفكر الغربي والعربي ؟**

1-المحور الأول : مفهوم الحداثة والمعاصرة فكريًا:

لقد بدأت صور الحداثة والمعاصرة تبرز للفكر الإنساني تدريجيًا خاصة بعد الثورة الشعبية الفرنسية التي اندلعت من الرابع عشر من يوليو(**تموز**) عام1789م وامتدت إلى غاية1799م حتى وصلت خارج أوروبا من أجل إنهاء الحكم الملكي المطلق الذي ساد جميع دول أوروبا ،والأمر نفسه حصل في الولايات المتحدة الأمريكية،والتي كانت سبّاقة في القيام بالثورة على النظام الملكي الذي فرضته بريطانيا عليها، حيث دامت الثورة خلالها سبع سنوات امتدت من(1732م إلى غاية1799م)، كللت بهزيمة الجيش البريطاني وانتخاب **جورج واشنطن** أول رئيس لـ و.م.أ سنة1789م خاصة بعد التأثر بأفكار الفيلسوف (**جون لوك**) الذي حرر أوروبا من قمع الملكية الأرستقراطية،فظهرت خلالها الأفكار التنويرية التي فتحت أعين النقاد والكتاب والفلاسفة على عوالم التغيير الفكري والديني والسياسي والاجتماعي التي بدأت تتشكل في فكر الإنسان الغربي بشكل عام فكانت بذور الحداثة تبرز إلى عقل الفكر الغربي ،وتتأصل في كل الميادين لتؤسس بذلك عالمًا جديدًا .

1-1. مفهوم الحداثة/ المعاصرة:

يعتبر الاهتمام بتدقيق المفاهيم و تقيدها أمرًا ضروريًا سواء من الناحية الابستمولوجية أو من الناحية الفكرية إذ تعلق الأمر بنقل مفاهيم من حقل دلالي إلى آخر، إذْ أصبحت لفظة (**الحداثة/ معاصرة**) بما فيها من دلالات وتعاريف مختلفة أحيانا،ومتضاربة أحيانا أخرى تبعا لتضارب أو تكامل الحقول المعرفية،والمدارس المنهجية التي وظفت هذه اللّفظة في خطاباتها الفكرية تحمل في طياتها تناقضًا، بعد أن أصبح مفهوم الحداثة من بين المفاهيم التي بات الحديث عنها موضوعا معقدًا، ومتشعبًا، فله أكثر من مدلول و تعريف وقبل أن نخوض في مفهوم الحداثة الاصطلاحي نرى من المفيد أن نعرج على مفهومها اللّغوي والاصطلاحي.

أ- المفهوم اللّغوي:

لقد أصبحت لفظة الحداثة لها عدّة دلالات من خلال المعاجم والقواميس التي فسرتها وشرحتها للمتلقي إذ نجد في **معجم لسان العرب** لابن منظور يعرفها على أنّها لفظة: مأخوذة من الفعل: (**حَدَثَ**)، والحديث نقيض القديم، والحدوث نقيض القدمة، حدث الشيء يحدث حدوثًا و حداثةً، و الحداثة أو الأمر ابتداؤه، و هي الشباب و أول العمر وأحدثه فهو محدث و حديث و كذلك استحدثه، ومنه جاءت و محدثات الأمور ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها[1]،وإذا عدنا إلى بقية المعاجم التراثية من أمهات المصادر اللّغوية نجد كلها تتفق مع ماجاء به معجم لسان العرب من الكلام ذاته،ومنه فجميع المعاجم تؤّكد على أنّ لفظة (**الحداثة**) توحي بالتجديد والتغيير،أمّا لفظة

(معاصرة) فهي تعني الزمنية في كل شيء لفظة مشتقة من كلمة عَصَرَ،عَاصَرَ أي الزمن والوقت.

ب-المفهوم الاصطلاحي :

بات من العسير وضع مفهوم محدد ودقيق للحداثة إذ ليس هناك اتفاق وإجماع بين المفكرين والفلاسفة والأدباء حول طبيعة الحداثة لذلك سنحاول عرض بعض التعاريف لمجموعة من النقاد والمفكرين حولها،وهذا تجسيدًا لملامح الحداثة العامة التي تعتبر من أهم القضايا في تاريخ الأدب العربي المعاصر.

فالحداثة لدى **(يوسف الخال)** لا تعتبر مذهبا كباقي المذاهب، "بل هي حركة إبداع تماشي الحياة في تغيرها الدائم و لا تكون وفقا على زمن دون آخر، فحيثما يطرأ تغيير على الحياة التي نحياها فتتبدل نظرتنا إلى الأشياء يسارع الشعر إلى التعبير عن ذلك بطرائق خارجة على السلفي المألوف"[2]، فعلاً فالحداثة بهذه الصورة تعبر عن تنوع الحياة الإنسانية وتطورها وفق رؤى ونظريات تتجانس مع رؤيتنا للحياة الاجتماعية دائمة التجديد والتغيير،وفي الصدد نفسه نجد **(سمير سعيد حجازي)** يشير إلى أنّ الحداثة "حركة فكرية علانية علمية هدفها تغيير المفاهيم والمناهج التقليدية التي تعالج الفنّ والأدب وإرساء مفاهيم وقواعد جديدة"[3].

أمّا **(محمد علوان سالمان)** فيرى أنّ" الحداثة عنوان على نزعة أو مذهب،يشتمل على مجموعة من الحركات الطليعية، وتعتمد على مجموعة من المنطلقات التي تستهدف الانقلاب على الماضي وقطع ما يتصل به بهدف استكناه فنية وأدبية جديدة ومغايرة"[4] فالحداثة حسب تصوره هي انقلاب على الماضي في جميع صوره ورموزه التاريخية من أجل الوصول إلى معارف جديدة مغاير للواقع،وإذا عدنا إلى تصور الحداثة عند **(علي أحمد سعيد)** الملقب بأدونيس نجده يرى أنّ الحداثة "أن تقبل الحوار مع الآخر، و أن نفكر مجددا بتراثنا دون أن نتنازل عن أصالتنا"[5] في حين نجد**(عبد السلام المسدّي)** يؤكّد على أنّ"كلمة الحداثة تجري مجرى الدال المتعدد الوجهات طبق تعدد الصور اللّغوية القائمة في أذهان المستعملين(...) وأمّا من جهة المعنى فإنّ الحداثة كثيرًا ماتشحن بتضمينات تجعلها دالاً واحدًا حاملاً لمدلولات متعددة وهذا التعدد بعضه من التنوع وبعضه من باب الاختلاف ولكن البعض الآخر من باب التضارب"[6]،وعليه فالحداثة عند مجموع النقاد والمفكرين هي رفضٌ للعالم القديم من أجل بناء عالم جديد، والقيم الإنسانية والنزعات الفكرية الفلسفية،والتي ينبغي أن تكون كونية، وليست مجرد انعكاس، وتكرار لما يجري من تصورات مذهبية أو ترجمة لأفكار بالية فقدت وجودها في عالم متجدد باستمرار.

ومنه فمعظم التعاريف السالفة للذكر نجدها تدور في فلك خمس سمات بارزة للحداثة هي(**الشمولية/الحداثة تقابل التقليد/ الارتباط بالتاريخ الأوروبي/العالمية/النقد الذاتي**)،وهذه الصفات نجدها تعكس مافي هذا التصور الفكري من انقلاب صريح على الماضي ومحاولة تجديد مافيه من أنماط سلوكية وفكرية ومرجعيات مذهبية ونقدية تدور في فلك القديم ومحاولة بعثها لتصل إلى المتلقي المعاصر بثوب الحداثة وفق رؤية مغايرة لما عرفت به سلفًا،ومع ذلك يبقى مصطلح الحداثة في النهاية ثورة على التقليد ورهانًا على التجريد والتجريب والتجديد"[7].

أمّا مصطلح المعاصرة فنجده مصطلح هلامي زمني كما أشار إلى ذلك (**سعيد علوش**) في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة،فهو يؤكد على زمنيته،كما يشير إلى آنيته وتحوله عبر بوتقة العصر الموجود فيه،ومع إطلاق كلمة المعاصرة فإنّ كلمة الأصالة تقابلها لتشير إلى الثابت والتمسك بالماضي والتراث، ويبقى مصطلح المعاصرة مفهوم نسبي في النهاية لمسايرة العصر في جلّ تطوراته ومفاهيميه[8] ، رغم التباين الذي انتشر بين لفظة الحداثة والمعاصرة في المفهوم الغربي الذي كان يحضر في كل مناسبة أدبية أو فكرية تنظيرية وتبقى إشكالية المصطلح تلقي بظلالها على جميع المرجعيات التي استقى منها كل ناقد فكره وتنظيره خاصة المرجعيات الفرنكوفونية أو المرجعيات الأنجلوسوكسونية.

ومع ذلك يبقى كلا المصطلحين يشيران إلى دلالة معجمية واحدة سواء في القاموس الفرنسي والإنجليزي،والتي تقابل معنى واحد تقريبًا، ففي اللّغتين الانجليزية والفرنسية انتشرت لفظتان هما Modernism وModernity ففي المعجم نجد ترجمة كلمة Modernism تعني استعمال عصري، وModyernity بالعصرية أو كون الشيء عصرياً، ليضيف لنا المعجم معنى كلمة Modernism على أنها حركة الفكر الكاثوليكي لتأويل تعاليم الكنيسة في ضوء المفاهيم العلمية والفلسفية السائدة في القرن التاسع عشر [9] ، ومع ذلك يبقى هذا المصطلح شائكًا في نظرًا لتداخل المرجعيات التي يقوم عليها عند النقاد العربي على وجه الخصوص.

2-1. مبادئ الحداثة/ المعاصرة:

إنّ المبدع الحداثي الذي خاض تجربة الصراع الحضاري ثم وصل إلى اختيار رؤى جديدة على أساسها فهم الإبداع، وغيّر بها مسار الشّعرية العربية من التقليدية إلى حرية الخلق والإبداع ضمن تجربته الفهم الجديد للنمط الذي يرتضيه للحياة و المجتمع، حيث سعي هذا المبدع في النهاية إلى تكوين عالمه الخاص به تدريجيًا لمحاكاة عالم المثل والفضائل، الذي تشكل في مخياله الفكري كنتيجة حتمية، وفكرية لما وجد من معارف متجددة عبر حقب التاريخ الإنساني،ورغم حركة التباين الكبير بين المجتمعات الإنسانية في سلم المعرفة ،يبقى الفكر البشري يتجدد تلقائيًا،ومنه نسوق من بين أهمّ المبادئ التي ارتكزت عليها الحداثة ونظرتها التي تطورت من خلالها، وهي كالآتي:

أ- **تغيير السّائد:**

لقد بدأ التغيير الفعلي مع تطور نظرة الإنسان العربي لما يحيط به من مدركات ومنطلقات كانت الدافع الحقيقي نحو التطور والحداثة الفكرية والأدبية نحو الوصول إلى عوالم أكثر إشراقًا في جميع الميادين الفنية والجمالية والفكرية والمذهبية ،وبالتالي الوصول إلى فكر مبدع خلاّق يتطلب بذل الجهد الفكري، والبحث عن حلقات التجديد التي بدأت من أوروبا في عصر النهضة والثورة على الكنيسة والملك والبرجوازية المقيتة،ومحالة بناء نظام فكري يحترم فيه الفكر والنظرة الإنسانية المتجددة للحياة والفنّ والفكر دون جمود أو تحجر فكري يحد من تطور العقل البشري.

ب- **مفهوم الخلاص الديني:**

تبقى المسألة الدينية في فكر الحداثة لها وضع خاص، فقد بقيت في أخذ ورد بين رواد الحداثة من مبدعين ومفكرين وفلاسفة طيلة نصف قرن من الزمن من القرن العشرين الماضي،خاصة بعد أن رأى العديد من أعلام الحداثة تعارض الدين مع التقدم والتغيير والقول بضرورة فصله وعزله عن كلّ ألوان الإبداع والفكر وهذا ماتم فعلاً في أوروبا ،إذْ أصبحت الكنية بشتى توجهاتها المذهبية من **كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية** لادخل لها في الفكر الإنساني،وهذا ما دفع بالعديد من التيارات الفكرية الفلسفية بالظهور، وملء الفراغ الذي تركه التخلي عن الكنيسة،وتوجهها الديني الذي يحدّ من التقدم الفكري، فظهر تيار **العلمانية**، وتيار **الوجودية**،وتيار **الإلحادية**،فهذا الأمر خلق تشنجًا كبيرًا مع الهوية والأصالة الفكرية بالنسبة للأمة العربية المسلمة وتوجهها الديني الرافض لجل تلك التيارات السالفة للذكر، والتي أفرغت الإنسان من جانبه الروحي، وأصبح مجد وعاء لفكر الفلاسفة والمفكرين مما جعل الفرد في حالة فوضى وتشويش فكري كبير لينتهي به المطاف إلى تيار **الفوضى الخلاّقة**،وبالتالي كانت القطيعة مع الماضي من أكثر الإشكالات التي واجهت الإنسان المعاصر الذي أصبح دون هوية تحدد توجهه،وهذا الأمر رفضته الأمة الغربية والعربية جملة وتفصيلاً خاصة لدى الفئة المعتدلة ،والتي مازالت تؤمن بضرورة التواص مع الآخر والتبادل الفكري دون فوبيا عقدية.

جـ الدعوة إلى الحداثة الجنسية:

دعاة الحداثة وجدوا فيها حرية ومطلبًا للإباحية الجنسية والمثليات التي كانت تعتبر طابوهات يحرّم كسرها ففيها كسر للقيم الإنسانية التي تكرس احترام قيم الطبيعة البشرية وعدم الخوض في المحرمات التي باتت مظهرًا خطيرًا يشكل الحداثة الغربية وينذر بفنائها،وهذا الأمر جعل من الغرب يعيش في أزمة قيم وأخلاق كبيرة، وهذا ماحذرت من الكنيسة الأوروبية سلفًا، كون تلك المحرمات هي كسر لحدود الإنسان الجنسية،وهذا فيه خروج صريح عن التوازن الإنساني من خلال تكريس مبدأ الحرية المطلقة، والإباحية الجنسية في كل شيء،وهذا الأمر خطير في الفكر المعاصر رفضته كل الأديان السماوية لكونه فكر متظرف وشاذ يحمل في طياته بذور فنائه،ولعلّ الدين الإسلامي، والتوراة،ومختلف الأناجيل المسيحية التي جاءت بعد إنجيل عيسى نحوَ:(**إنجيل متّا/لوقا/مرقص/يوحنا/برنابا**) قد حذرت من هذا الخلل والخروج عن الفطرة الإنسانية لما فيه من فتك بالبشرية جمعاء.

د- تبني مبادئ الفلسفة الوجودية:

ضرورة تبني كل قيم وأفكار الفلسفة الوجودية التي دعى إليها (**جان بول سارتر**) من رفض للقيم ولكل ماهو سائد و السعي إلى تحقيق الذات على أساس غير مسبوق إليه ورفض كل أسباب الوجود التي تقمع الفرد من التطور والتغيير ،فالحياة في نظر الفلسفة الوجودية عبثية لاتسحق التضحية لكون الإنسان فيها عبث بقدره فهو مسير في جميع أفعاله وسلوكاته لذلك يستطيع تقدير كل ذلك عندما يعلم يدرك جميع أسباب وجوده فينتقل إلى مرحلة الحداثة "كغاية تبلغ نهايتها صُعُدًا،ضمن الكلية الكونية"[10].

هـ الفضائية و اللاتجدر:

ويعني هذا المصطلح ضرورة الانفلات من جميع القيود والمسلمات الفكرية التي تحيط بالفرد وأدبه وفكر،فيصبح يعيش دون وازع فكري يقوده نحو إنسانيته،ناهيك عن تجاوز

جميع القيود التي تؤسس لفكره الأدبي من خلال التحلل من قيود الالتزام الأدبي نحو التخلي عن التزام الوزن والقافية والانطلاق نحو عالم الثورة على كلّ القيود الفكرية وهنا دعوة صريحة لتيار العبثية الأدبية خاصة" أنّ كل جديد يتحول،تبعًا لهذه الرؤية إلى قديم بفعل التحول الزمني وتغير الأحوال"[11]، وعلي العموم فهذه جلّ المبادئ التي ارتكزت عليها الحداثة في الفكر الإنساني الغربي والعربي.

2- المحور الثاني: جذور الحداثة عند الغرب والعرب:

لقد تعددت جذور الحداثة الغربية والعربية وتنوعت مصادرها التي كانت تختلف في كلّ مرة عن غيرها، ومع ذلك اتفقت في المبادئ التي عكست كلّ التوجهات والمنطلقات الفكرية والفلسفية التي قامت عليها في مرحلة تاريخية ما كما أنّ الحداثة الغربية تختلف كليًا في جميع أصولها ومنطلقاتها عن جذور الحداثة عند العرب وهذا ماسوف نحدده لاحقًا.

أ- الحداثة عند الغرب:

لقد تزامن ظهور تيار الحداثة في الغرب مع بروز تيار المد الطبيعي الذي أدخلته أوروبا منذ العصور الوثنية في العهدين اليوناني والروماني، امتدادا إلى عصر الظلمات مرورا بالعصور المتلاحقة التي تزاحمت بكل أنواع المذاهب الفكرية والفلسفات الوثنية المتناقضة والمتلاحقة، وقد كان كل مذهب له ردة فعل مذهب سابق وكل مذهب من هذه المذاهب يحمل في ذاته عناصر اندثاره وفنائه،وقد اختلف كثير من الذين أرخوا ونظروا للحداثة الغربية حول بداياتها الأولى و**على يد من ظهرت، وترعرعت؟** ورغم ذلك يتفق بعضهم على أنّ إرهاصاتها المبكرة بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي على يد الكاتب الفرنسي(**شارل بودلير**) صاحب ديوان"**أزهار الشر**"، ولكنها لم تنشأ من العدم بل سبقتها عدّة إرهاصات تاريخية كبيرة، بل هي امتداد لإفرازات مذاهب وتيارات فكرية أدبية إيديولوجية/فلسفية متعاقبة عاشها العالم الغربي بشكل مستمر خاصة بعد الثورة على **الإقطاعية المقيتة/الملكية المميتة/الكنيسة العقيمة** فتمردت عليها جميعًا عليه، وقد ظهر ذلك جليا في عصر النهضة الأدبية منذ بدايات القرن الخامس عشر الميلادي، حيث أصبحت الحداثة" ليست مفهوما سوسسولوجيًا أو مفهومًا سياسيًا أو مفهومًا تاريخيًا فقط" [12]

ثم بعد ذلك توالى التجديد بظهور تيارين متوازين الأول منهما يرى أنّ الحداثة الغربية كانت امتدادات متجذّرة في حقل المعرفة الأدبية والفلسفات العقلية الألمانية والفرنسة عند كلّ من(**هيجل/كانط/ديكارت**) التي كرست مبدّأ الفرداينة كمنحى للتغيير والتحول من الفكر الجمعي النمطي المركز إلى فكر أسمى إشعاعًا ينير الطريق للإنسانية في حين نجد التيار الثاني يمثله (**جوسْ**) الذي يرى أنّ الحداثة الغربية متجذّرة في أعماق الثقافة اليونانية واللاتينية على السواء وعلى امتداد هاتين الثقافتين كان هناك صراع محتدم بين أنصار القديم والجديد عبر مختلف الحقب الزمنية[13].

ومع نهاية القرن التاسع عشر،وبداية القرن العشرين ونمو المذاهب الأدبية وتطورها التاريخي،وبروز التيارات الأدبية المتعاقبة على بعضها البعض بداية من تيار الكلاسيكية والرومانسية ووصولا إلى الدادئية والانطباعية والبرناسية والرمزية والسريالية يمكن القول" أن الحداثة الأوروبية كانت قضية أكبر من الحركات التي تفرعت عنها"[14]، فكانت مختلف التيارات الفلسفية، وحتى السياسية والاتجاهات الثقافية ثائرة على الموروث، و مختلف الشرائع والعادات والتقاليد التي أفسدت المجتمع.

وقد تعاقب على ركب الحداثيين في الغرب، بعد أن سلكوا نفس الطريق الذي بدأه شارل بودلير، ورامبوا، وساروا على نهجهما، ومن هؤلاء **مالارمييه، وبول فاليري**، حتى وصلت الحداثة الغربية شكلها المتكامل النهائي على يد الأمريكي اليهودي(**إزرا باوند، والإنجليزي توماس.س. إليوت/روبرت شولز)** بكل ما حمله هؤلاء الفلاسفة والمفكرين من فكر وإيديولوجيات وتمرد على كل ماهو سائد وموروث، وتجاوزوا بذلك حدود الأدب واللغة لتطال الحداثة في النهاية الدين والأخلاق والقيم والعلم، فهي تحطيم للماضي والحاضر والمستقبل،خاصة بعد أن ترعرعت الحداثة الغربية في أوحال الرذيلة إذْ أينعت ثمارها الخبيثة على أيدي الشيوعيين من أمثال: **نيرودا، ولوركا،** والوجوديين أمثال: **جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار، وألبير كامي،** لتأتي أكلها في نهاية المطاف على أيدي الجيل المنظر والداعم لها، والمحفز على السير في ركابها من أمثال ألوي أراجون، وهنري لوفيفر، وأوجين جلراندال، ورولان بارت، ورومان جاكبسون، وليفي شتراوس، وبياجيه، وغيرهم فتتعدى نطاقها الغربي الضيق لتصل إلى ضفة العالم العربي تدريجيًا عن طريق الترجمات،والرحلات والمناظرات الفكرية والتوجهات الفلسفية التي طبعت ثقافة الشرق العربي لتصبح الحداثة في نهاية الأمر" نزعة إنسانية"[15].

ب-الحداثة عند العرب:

في الحقيقة نجد أنّ جذور الحداثة العربية ضاربة في قدم التاريخ، بداية من عصر بني أمية ومحاولة التجديد التي قام بها العديد من الشعراء والفلاسفة خاصة من الفرس الموالي،وقد اكتملت ونضجت هذه الحركة الفكرية في عصر بني العباس أين توسعت الدولة ودخلت الكثير من المجتمعات إلى الإسلام وتمازجت الثقافات العربية الإسلامية بالمسيحية واليهودية،وحتى بالثقافة بالوثنية منها،فكان التنافس الفكري في التجديد والتغيير يشكل حديثًا هامًا،والتي تجلت بوادره في الشعر عند **أبي نواس،وبشار بن برد** وغيرهم من الشعراء الموالي الذين ثاروا على نظام القصيدة العربية،ومقدماتها الطللية والغزلية،وصولاً إلى ثورة الفلاسفة والتيارات الدينية المختلفة من جهمية وأشاعرة وإخوان الصفاء ومعتزلة،وغيرهم،كل ذلك شكل بدايات حقيقية للتجديد في الفكر والرؤى للحياة والواقع دون عقد أو خوف من الآخر والمستقبل.

ومع حلول عصر النهضة الأدبية تسللت الحداثة الغربية إلى تاريخ أدبنا العربي وفكرنا الفلسفي العقدي عبر الرحلات والنظم الاستعمارية والترجمات الأدبية رويدا رويدا وقد وجدت الدعم والسند من دعاة التغيير والتجديد الفكري بداية من دعاة الإصلاح نحو:(**جمال الدين الأفغاني/ محمد عبده/ عبد الرحمان الكواكبي/ الباروني/عبد الحميد ابن باديس)** وإن لم تكن دعوات صريحة لتبني الفكر التجديد الغربي هكذا كان تسللت الحداثة إلى عقل العالم العربي الذي عاش زمنًا من الانغلاق، والعزلة الفكرية عن الآخر بعد عن كبلت تقدمه سياسة الدولة العثمانية ، فكانت الثورات الفكرية التي قادها علماء الأمة العربية من مشرقها حتى مغربها بمثابة ثورة حقيقة لأجل التحرير الفكري والعقدي من جهة والاستعماري من جهة ثانية وجدت لها في فكرنا وأدبنا العربي تربة خصبة،إذْ ترعرع فيها العديد من المفكرين منهم: غالي شكري، وعلي أحمد سعيد، خالدة سعيد من سوريا،وعبد الله العروي من المغرب،وكمال أبوديب من فلسطين،سلمى الخضراء الجيوسي، محمود درويش وصلاح فضل، وصلاح عبد الصبور من مصر، وعبد الوهاب البياتي من العراق، وعبد

العزيز المقالح من اليمن، وحسين مروة من لبنان، وكريبع النبهاني ومالك بن نبي من الجزائر، وعبد الله الغذامي، وسعيد السريحي من السعودية، وغيرهم من دعاة الحداثة الأدبية والفكرية.

وعليه يعتبر(**علي أحمد سعيد**) بلا ريب المنظر الأوّل للحداثة العربية خاصة بعد اكتشافه لبذور الحداثة العربية في تراثنا العربي القديم خاص عند المبرد/ ابن معتز/ ابن جني/ ابن رشيق وهؤلاء[16]جميعهم كانوا دعاة للثورة على النظم العربي القديم،وضرورة تبديله بالجديد المنسجم مع كلّ عصر، وعمومًا ظلت الحداثة العربية تسبح في نهر الحداثة الغربية وتأخذ من جذورها إلى أن خرجت عن المألوف من تاريخ هويتنا العربية وأصالتنا إلى هدم جميع القيم والثورة على العقيدة الإسلامية، والانتهاء بها إلى ظاهرة الإلحاد الفكري والعقدي كما عبر عن ذلك (**أدونيس**) في مقابلة أجرتها معه مجلة فكر وفنّ عام 1987م فقد أشار إلى أنّ القرآن الكريم هو خلاصة ثقافات إنسانية لاغير،وبذلك يساوي بين لغة الخالق ولغة المخلوق ،وهذا مرفوض من الناحية العقدية بالنسبة للأمة العربية قاطبة،وهذه دعوة صريحة لطمس القرآن والتشكيك فيه،وبذلك الثورة والتمرد على الموروث والسائد والنمطي بأنواعه المختلفة عقيدةً ولغةً وأدبًا وأخلاقًا على أساس المعاصرة والتجديد الذي يدعوا إلى تطوير ما هو موجود من ميراث أدبي ولغوي، والإضافة عليه بما يواكب العصر، ويتواءم مع التطور منطلقا من ذلك الإرث الذي لا يمكن تجاوزه بحال من الأحوال، فهو عنوان الأمة،ورمز حضارتها، والأمة التي لا موروث لها ولا حضارة لها هي أمّة غير موجودة في الأساس

وعليه يبقى تسلل الحداثة إلى فكرنا العربي يشوبه الكثير من الغموض والريبة لدى الكثيرين من المثقفين العرب من نقاد ومثقفين ورجال دين وسياسة ، وإن كان القلة منهم هم الذين تنبهوا لهذا الخطر الداهم للغتهم وعقيدتهم وأدبهم على حد سواء، فحاولوا التصدي لها بشتى الطرق المتاحة والممكنة، ولكن مساندة أنصاف المثقفين لها ممن يدعون أنهم يسايرون التقدم خلق فينا" ردودًا متناقضة وتوترًا نادرًا بين الإرتكاس والانبهار بين الدعاية اللامشروطة والرفض المبرم"،فكانت الأزمة أشدّ وبالاً على نقدنا وتراثنا العربي.

***- خاتمة:**

في نهاية تبقى (**الحداثة**) مسألة شائكة متجذّرة مشعبة الأطراف في الفكر الغربي والعربي على السواء لما فيها من تعدد للمنطلقات والفلسفات والدعوات التي سعت لتكريسها في الفكر الإنساني كنوع من التجديد في بنية النظم الفكرية والسياسية التي كانت تبرز القيود على بني البشر بشكل مطلق،فكانت الحداثة هي سبيل الحرية المطرقة التي جعلت من الغرب يعيش في عبثية فكرية ودينية،وفوضى أخلاقية من إباحية ومجون ومثلية، وسقوط للقيم الإنسانية وتدنيها للحيوانية،وهذا الأمر جعل الكثير من المساندين للحداثة يعيدون النظر فيها وقابليتهم لها خاصة لدى المحافظين الغربيين أو الأصوليين العرب المسلمين لتبقى في النهاية حداثة الغرب تختلف تمامًا عن رحم الفكر العربي.

الهوامش والإحـــالات:

(1) ابن منظور: لسان العرب،مج2 مادة(حدث)،دار صادر،بيروت،لبنان،ط، ص131.

(2) يوسف الخال: الحداثة في الشعر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1978، ص 17.

(3) سمير سعيد حجازي: النقد الأدبي وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،ط1، 2005، ص215.

(4) محمد علوان سالمان: الإيقاع في شعر الحداثة، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية،مصر،ط1، 2008، ص31.
(5) محمد عزام: الحداثة الشعرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1995، ص 38.
(6) عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، دار الطليعة، بيروت،ابنان، ط1، 1983،ص7، 8.
(7) محمد الشيكر: هايدغر وسؤال الحداثة،إفريقيا شرق،المغرب، ط1، 2006، ص16.
(8) سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة(عرض وتقديم وترجمة)،دار الكتاب اللبناني، بيروت،، لبنان، ط1، 1985،.ص150.
(9) منير البعلبكي: قاموس المورد(إنجليزى عربي) دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط1، 2002،ص،580
(10) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، بنايته وإبدالاتها(مسألة الحداثة)، دار توبقال للنشر، المغرب، ط3، 2014، ص158.
(11) المرجع نفسه، ص159.
(12) عبد الغاني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر(مقاربة حوارية في الأصول المعرفية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،ط1، 2005، ص15.
(13) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، بنايته وإبدالاتها(مسألة الحداثة)،ص158، 159.
(14) محمد علوان سالمان: الإيقاع في شعر الحداثة،ص45.
(15) محمد الشيكر: هايدغر وسؤال الحداثة،ص15.
(16) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، بنايته وإبدالاتها(مسألة الحداثة)،ص160.